مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 05 السنة 2021 ص 394 - 410

تاريخ الإرسال: 2020/09/30 تاريخ القبول: 2021/02/16
تاريخ النشر: 2021/11/04

جهود الشيخ ابن بادي في التأليف البلاغي من خلال مخطوط زينة الفتيان

"The efforts of Cheikh Ibn Badi in the rhetoric authorship through the manuscript of "Zinat al-Fityan" (the adornment of youths)

عبد الرحمان هدّي[1]، الصدّيق حاج أحمد[2]
الجامعة أدرار (الجزائر)، Abr.haddi@univ-adrar.edu.dz
الجامعة أدرار (الجزائر)، ziwanihadjsaddik@univ-adrar.edu.dz

الملخص:

بدأت البلاغة في الظهور بدء من القرن الثّاني الهجري واستمرت، وظهرت المؤلّفات فيها من نثر ونظم، فكان من بينها نُقاية العلوم للسّيوطي، وعليها ألّف ابن بادي نظما سمّاه زينة الفتيان وشرحَه، ضمّ هذا النّظم سبعة عشر علما بزيادة ثلاثة علوم على الأصل، وكان من بين العلوم المُتناولة علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع.

والبحث تطرّق لعلوم البلاغة من زينة الفتيان نظما وشرحا لابن بادي، بهدف التّعريف به، لقلّة التأليف في البلاغة مقارنة بالنّحو خاصّة في أقاليم توات والهقّار ومن خلال تتبّع المخطوط ونُسخه التي من بينها نُسخة المؤلّف المسوّدة؛ لاحظنا تمكّن ابن بادي من أمرين النّظم المُنسجم، والإحاطة بجزئيات العلوم الثّلاثة، من خلال ما ساقه من عديد الشّواهد، وما اعتمد عليه من مصادر كمؤلّفات السّيوطي وعليه أضحى لزاما الالتفات لهذا العَلَم و مؤلّفاته من طرف الباحثين تحقيقا وإخراجا.

الكلمات المفتاحية: جهود ابن بادي، التأليف البلاغي، زينة الفتيان.

Abstract:

The rhetoric began to appear starting from the second century of hijrah (Migration of the prophet) and continued, and the literature appeared with prose and poetizing, and among them was "the elite of knowledges" by al-Suyuti, later Ibn Badi wrote a poetizing that he called "Zinat al-Fityan"and he explained it. This poetizing included seventeen knowledges with the addition of three knowledges on the original. Among the tackled knowledges we find rhetoric: meanings, rhetoric, and verbal creation.

The research dealt with the rhetoric knowledges from adornment of youths, with poetizing and explanation by Ibn Badi, aiming of introducing it, because of the composition lack in rhetoric compared to grammar, especially in the regions of Touat and Al-Hoggar, and by tracing the manuscript and its copies, which include the author's draft copy. We noticed that Ibn Badi was able to accomplish two things: harmonious poesy, and the deep understanding of the three parts of the knowledges, through the much evidences he gave, and the sources on which he relied, such as the writings of Al-Suyuti. Accordingly, it has become imperative to pay attention to this savant and its writings by the part of researchers, for investigation and production

Keywords: The efforts of Ibn Badi , the rhetoric authorship through , Zinat al-Fityan.

المؤلف المرسل: الاسم الكامل، الإيميل:Abr.haddi@univ-adrar.edu.dz

مقدمة:

كان القرآن الكريم ولا يزال سببا في ظهور عديد العلوم خاصّة العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، بل إنّ علم البلاغة ارتبط ظهوره مباشرة بمسألة

الإعجاز القرآني؛ هذا الأخير الذي دار الجدل حوله وطال بين العلماء؛ فإذا به ينشأ عنه علم بأكمله؛ هو علم البلاغة.

هذا الوليد الذي ظهر للوجود في القرن الثاني الهجري تقريبا لم يبلغ الرّشد ويشتدّ عوده إلا بعد قرنين أو ثلاثة على يد عبد القاهر الجرجاني(ت 471 هـ) في كتابيه (**دلائل الإعجاز** و **أسرار البلاغة**)، على أنّ محاولة ابن المعتز(ت 296 هـ) في كتابه **البديع** كانت من المحاولات غير المسبوقة في زمنه، فكانت بمثابة التأسيس لعلم البديع على ما فيها من مزج بين مواضيع خاصّة بعلم البيان، وأخرى خاصّة بعلم البديع.

وظلّ التأليف في البلاغة متواصلا دون انقطاع، غير أنّ من المؤلفات ما نال شهرة واسعة ككتاب مفتاح العلوم للسكّاكي(ت 626 هـ) و تلخيص المفتاح للقزويني(ت 739 هـ)، و أضحت المؤلّفات بعد ذلك موقوفة على المفتاح وتلخيصه فظهرت الشروح والحواشي عليهما، واشتهر من ذلك ما ألّفه سعد الدين التفتازاني(ت 791 هـ)، وظهر نابغة زمانه السّيوطي(ت 911 هـ)؛ الذي طرق أبواب عديد العلوم وألّف فيها، فنال علم البلاغة حظّه منه في مؤلَّفيْن على الأقل اشتهرا: الأول "عقود الجُمان" والثّاني ما ألّفّه في "نُقاية العلوم" حول الفنون الثّلاثة فنّ المعاني وفنّ البيان وفنّ البديع ، وهذا المؤلف الأخير (النُّقاية) هو كتاب اشتمل على أربعة عشر علما من بينها علوم البلاغة الثّلاثة الآنفة الذكر، ونال هذا المؤلَّف اهتمام عديد العلماء في مختلف العصور التي تلته، فانبرى بعض العلماء لشرحها، وآخرون صيّروها نظما؛ ليسهل تداولها بين طلبة العلم.

ومن بين المنظومات منظومة زينة الفتيان وشرحها للشّيخ محمد بن بادي وقبل الوقوف على المنظومة وفنون البلاغة فيها، لا بد من التّعريف بالشّيخ بن بادي(ت1388هـ)، هذا الذي قال فيه تلميذه الشّيخ محمد بن محمد الفقّ

(ت2009م): «... و كان رحمه الله آية في كل فنّ من معقول ومنقول و فروع و أصول و تفسير، فلا تراه إلا مشتغلا بعبادة عامّة وخاصّة؛ كتدريس و تعليم وكتابة وتأليف وأجوبة مهمّة وأسئلة كثيرة ... »[1]، وهو الذّي قال فيه الشّيخ حمّدا بن محمد السوقي(ت1389هـ)[2] :

إِنْ كُنْتَ مِنْ كُنْتَ فَالآيَاتُ تَزْعُمُ لِي ... أَنَّ ابْنَ بَادِي الهُدَى نَامِيكَ لِلْعَرَبِ
شَيْـــخٌ تَلَقَّفَ مِنْ عِلْمِ الأَوَائِلِ مَا ... زَادَتْهُ لَذّتُـــهُ حِرْصًا عَلَى الطَّلَبِ
مُهَـــذَّبُ الخُلْـــقِ تَأْبَاهُ سَجِيَّتُـهُ ... إِلَّا ارْتِقَاءَ العُلَا فِي فَضْـلِ مُرْتَقَبِ

فمن هو الشّيخ ابن بادي؟

2. الشيخ محمد بن بادي

المشتهر بسيدي حمّ، عالم من علماء القرن الرّابع عشر، وهو الشّيخ محمد بن المختار الملقّب ببادي بن مَحَمّد باي بن محمد الخليفة بن المختار الكبير الكنتي[3]، يرجع نسبه إلى عقبة بن نافع الفهري[4]، ولد سنة 1316هـ، بآغلي شعبة قريبة من تيمياوين[5]، تعلّم القرآن الكريم على يد والده وعلى يد الشّيخ أحمد بن عيسى الإديجي الشّنقيطي[6]، ثم انتقل إلى خاله الشّيخ باي بن سيدي اعمر الكنتي فلزمه مدّة خمسة عشرة سنة أخذ عنه خلالها علوما كثيرة كالفقه وقواعده، وفنّ الأصول والمعاني والبيان والبديع والنحو، وسمع منه أكثر السّنّة من الحديث قراءة وإقراء[7]، وله منه إجازة، ثمّ إنّ خاله أرسله في فترة إلى الشّيخ محمد يحي بن سليم النّعماوي الولاتي، فأخذ عنه[8] وأجازه[9]. وتلاميذ الشّيخ بن بادي فاق عددهم الثّلاثين[10]، أشهرهم الشّيخ محمد بن محمد الفق(ت2009م)، منهم من لا يزال عل قيد الحياة[11]. توفي الشّيخ سنة 1388هـ، وترك عديد المؤلّفات في شتّى العلوم تعدّت الثّمانين[12]، منها في النّحو "وقاية المتعلّم من اللّحن المثلم" منظومة وشرحها " بلوغ الغاية على الوقاية"، و "مقدم العيّ المصروم على نظم ابن أبّ لآجرّوم"، وفي الفقه وغيره ممّا

يتعلّق بالشريعة: "نظم مختصر خليل"، "الشّموس الطّوالع فيما أحدث عند القبور من البدائع"، ومن مؤلّفاته المنوّعة: "زينة الفتيان".

3. أهميّة المخطوط:

قبل الحديث عن منظومة زينة الفتيان ونُسَخها المخطوطة ينبغي الوقوف على أهميّتها، فلو تحدّثنا عن النّظم بعلومه السّبعة عشر المتنوّعة سنرى أنّ أهميّتها تكمن في وجود كتاب موسوعي هو بمثابة البرنامج المتكامل لطالب العلم الذي إن استوعبه سيغنيه عن كثير ممّا سواه، أمّا إن تحدّثنا عن علوم البلاغة الثّلاثة فالأمر في غاية الأهميّة، إذ أنّ المتتبّع للتّأليف في علم البلاغة في أقاليم قورارة، وتوات وتيديكلت، والهقّار[13]، سيرى أنّ علم البلاغة لم ينل حظّه من العناية من طرف علماء تلك الأقاليم، إذا ما قورن بعلم النّحو، عدا ما ألّفه الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي "شرح التّبيان في علم البيان"[14].

4. زينة الفتيان:

منظومة وضعها الشّيخ على **نُقاية العلوم** للسّيوطي(ت 911 هـ)، وفي ذلك قال:

عَانَيْتُ أَنْ أَنْظِمَ فِي خُيُوطِي نُقَايَةَ العُلُومِ لِلسُّيُوطِي

والنُّقاية جمعت أربعة عشر علما « ... بدأها بأصول الدين، ثم التفسير، فعلم الحديث، فأصول الفقه، فالفرائض، فالنحو، فالتصريف، فالخطّ، فالمعاني، فالبيان فالبديع، فالتشريح فالطبّ، فالتّصوّف ..»[15]. وهي مجموعة في قول الشّيخ ابن بادي في نظم زينة الفتيان:

تَوْحِيدُ تَفْسِيرٌ حَدِيثٌ فَأُصُولْ فَرَائِضٌ نَحْوٌ وَتَصْرِيفُ المَقُولْ

خَطُّ مَعَانٍ فَالبَيَانُ فَالبَدِيعْ تَشْرِيحٌ الطِّبُّ التَّصَوُّفُ الرَّفِيعْ

والشيخ محمد بن بادي(ت 1388 هـ) بعد وضع نظم زينة الفتيان زاد على الأصل ثلاثة فنون، السيرة، والحساب وعلم التّنجيم فصارت سبعة عشر علما، بالإضافة إلى

خاتمة ذكر فيها بعض العلوم المحرّمة أو المختلف في بعضها بين العلماء، من ذلك علم الأشكال، وعلم الطلاسم، وغيرها، قال في ذلك:

وَزِدْتُ سِيرَةً وَتَنْجِيمًا حِسَابْ وَذِكْرَ مَا مِنَ العُلُومِ قَدْ يُعَابْ

وقام بشرح النّظم.

1.4 ثناء العلماء على المنظومة:

ممّن أثنى على منظومة زينة الفتيان، الشّيخ محمّد بن محمّد الفق تلميذ النّاظم، الذي أعاد نظم علم النّحو المشروح من زينة الفتيان في نظم سمّاه "بنت السّودان"، قال في مقدّمته:

أَرَدْتُ أَنْ أَنْظِمَ فِيهِ رَجَزَا لَعَلَّنِي أَنَالُ أَوْفَرَ جَزَا

وَلِيَكُونَ كَالهِجَا لِلْمُبْتَدِي وَلُقْطَةً لِلنَّاشِدِ المُقْتَصِدِ

وَكُلُّهَا مِنْ زِينَةِ الفِتْيَانِ لِشَيْخِيَ ابْنِ بَادِي زَاكِي الشَّانِ

لِجَمْعِهَا الجَمَّ مِنَ الفَوَائِدِ وَقَيْدِهَا أَوَابِدَ الشَّوَارِدِ

وَهْيَ جَدِيرَةٌ بِصَرْفِ النِّيَّة إِلَيْهَا فَهْيَ الدُّرَّةُ الكُنْتِيَّة[16]

2.4 نسخ المخطوط:

قبل الحديث عن نسخ النّظم المشروح المخطوطة نشير إلى أنّ الباحث يحي ولد سيدي أحمد قام بطبعه طبعة أقرب إلى التّجارية منها إلى التحقيق العلمي، أمّا عن نُسخ المخطوط لزينة الفتيان تقريبا خمس نسخ –على ما وقفت عليه– نسخة منها بخطّ المؤلّف وهي بيد ابنه الشّيخ بن محمد السّاكن بتمنراست، ومن هذه النّسخة توجد صورة بيد الشّيخ عيسى قمامة بتمنراست، وأخرى بيد الشّيخ محمد بن بانه وهما تلميذا المؤلّف وأخرى بيد الشّيخ حيمد الكنتي بتمنراست، وعلى هذه النّسخة نُسخت نسختان من الخمس، واحدة حديثة نسخها أحمد ولد محمد عابي الكنتي سنة 2006م، وهي بيد الشّيخ عيسى قمامة، منسوخة بقلم الحبر الجاف الحديث الأزرق

والأحمر في سجلّ، والأخرى أيضا حديثة نسخها الشّيخ محمود صدّيقي، توجد صورة من جزءها الأوّل فقط بيد محمد عقباوي بتمنراست، والنّسخة الرّابعة مصوّرة أيضا وهي نسخة الشّيخ محمد بن محمّد الفق بيد الشّيخ حيمد الكُنتي، لم نقف على جزءها الأوّل كي نتبيّن إن كانت منسوخة من النّسخة الأولى أم من غيرها، أمّا النّسخة الخامسة فتختلف شيئا ما عن البقيّة خاصّة النّسخ الثّلاثة الأولى والاختلاف في المقدّمة، وهي أيضا مصوّرة بيد الشّيخ عيسى قمامة، وهي –لا شكّ–منسوخة من المبيّضة.

3.4 نسخة المؤلّف:

أشرت فيما سبق إلى أنّ النّسخة الأمّ التي خطّها المؤلّف الشّيخ بن بادي هي بيد ابنه، لكن قبل ذلك كانت بيد الشّيخ هيْدَ بن حمّادي الكنتي القاطن بولاية أدرار، ثمّ سلّمها لابن المؤلّف، والمالك الأوّل للنّسخة يعتقد أنّها المسوّدة، وهو اعتقاد صحيح إلى حدّ ما للأسباب الآتية:

–حالات الشّطب المتكرّرة في عديد الأوراق، مع بعض الاستدراكات في الحواشي هذا الأمر يكثر في نسخة المؤلّف، ويكاد ينعدم في النّسخة الأخرى المبيّضة.

– عدم وجود اسم زينة الفتيان فيها، والاسم الموجود فيها هو "ألفية الفنون".

–إضافة أربعة أبيات في النّسخة المختلفة، مع عدم وجودها في نسخة المؤلّف، من بين تلك الأبيات البيت المشتمل على تسمية المنظومة.

– استبدال بيت ورد في المقدمة في نسخة المؤلّف ببيت آخر في النّسخة الأخرى والبيت في النّسخة الأولى:

كُنْتِيَّةً تُزْجِي عُلُوما شَتَّى حَسْنَا فَهَلْ مِنْ خَاطِبٍ يَا كُنْتَا

وفي الثّانية: كُنْتِيَّةً حَسْنَا عَرَضْتُهَا الْوَحَا يَا كُنْتَ يَا أَكْفَا بَنِي سَامٍ وَحَا

والمتأمّل في البيتين يلاحظ أنّ الشّيخ شبّه منظومته بفتاة كُنتية حسناء، وعرضها على أبناء عشيرتها فقط من آل كُنتة لمن رغب في خِطبتها، لكنّه في النّسخة الثّانية تراجع عن العرض الأوّل المحدود ووسّعه ليشمل –مع أبناء العشيرة– الأكفاء من بني سام وحام، وأردف الشّيخ البيت بآخر يحدّد فيه محاسنها والمهر المطلوب فقال:

يُقْنِي وَيُغْنِي مَا بِهَا قَدْ أُودِعَا وَالْمَهْرُ يَا طُلَّابُ صَالِحُ دُعَا

ومن هنا فإنّ أنجب تلاميذ الشّيخ الشّيخ محمد بن محمد الفقّ كان حاضرا عند العرض فتقدّم لخطبتها قال في ذلك:

وَكَانَ قَــدْ عَـرَضَهَا أَبُـــوهَا عَلَـى الأُلَى لِعِـــزِّهَا أَبَـوْهَا
إِذْ مَهْرُهَا بَذْلُ نَفِيسِ الْأَنْفُسِ لِكَوْنِهَا حَـــوْرَاءَ ذَاتَ لَعَسِ
وَكُنْتُ حَاضِرًا لِذَاكَ العَرْضِ لَكِنَّنِي مِنْ دُونِ ذَاكَ الفَرْضِ
فَلَـمْ تَـزَلْ حَـوَادِثُ الأَيَّامِ تَرْمِـي بِهَـا لِسَامٍ اَوْ لِحَـامِ
وَدَائِمًا تَنْتَـحِبُ الفَتَـــاةُ لِأَنَّ أَهْلَـهَا جَمِيعـــًا مَـاتُوا

إلى أن قال:

فَسُقْتُ مَا لَيْسَ بِمَهْرِ المِثْلِ وَلَمْ أَكُـنْ بِكُفءٍ بِالأَصْلِ
فَزُفَّتْ قَسْـــرًا إِلَيَّ وَالحَيَا يَطَلُّ مِنِّي فَوْقَ مَا طَلَّ الحَيَا

إلى آخر الأبيات، وكما أسلفت سابقا الشّيخ محمد بن محمد الفق أعاد نظم فنّ النّحو من منظومة زينة الفتيان، وفي نظمه ساق هذه الأبيات وغيرها، وقد استطردت بعض الشّيء في سوْق أبيات من منظومة "بنت السّودان"، لأبيّن من خلالها أنّ الأبيات الأربعة المضافة في نسخة زينة الفتيان –التي بغير خطّ المؤلّف–مع البيت الخامس المُغيّر، كلّ ذلك إنّما كان من عمل المؤلّف لأنّ تلميذه أثبت له ذلك، أي أنّ المؤلّف وضع مبيّضة للمنظومة؛ لكنّنا لا نعلم هل قام بإعادة كتابتها مع هذا الطّول؟ أم قام بإملاء المقدّمة على أحد طلبته؟ وفي ظلّ عدم العثور على المبيّضة

التي خطّها المؤلّف يبقى السّؤال مطروحا، وكما أسلفت فإنّ التّغيير وقع –على الأرجح– في المقدّمة فقط؛ على الأقلّ إن تحدّثنا عن علوم البلاغة التي نحن بصدد الحديث عنها مع العلم أنّ نُسخة المؤلّف(المسوّدة) في تلك العلوم الثّلاثة كانت أكثر ضبطا من النّسخة الأخرى.

5. علوم البلاغة في زينة الفتيان:

كما مرّ فإنّ من العلوم الواردة في منظومة زينة الفتيان : علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، تلك العلوم المشكّلة لعلم البلاغة والتي بلغ مجموع عدد أبياتها المشروحة مائة وواحدا وسبعين بيتا.

1.5 علم المعاني:

به بدأ المؤلّف، والغالب عند المؤلّفين في علم البلاغة البدء بعلم المعاني، والنّاحية المنهجية تقتضي ذلك، فعلم المعاني عند الهاشمي:" ما يُحترز به من الخطأ في تأدية المعنى"، وعلم البيان:" ما يُحترز به عن التّعقيد المعنوي"، وعلم البديع:" ما يُراد به تحسين الكلام"[17]، وعليه فالبداية ممّ يُحترز به من الخطأ أمر منطقي فهي بداية بالأهمّ، لكن خالف بعضهم المعهود فأخّر علم المعاني بتقديم علم البيان عليه، وممّن فعل ذلك مصطفى أمين وعلي الجارم في كتابهما البلاغة الواضحة.

بلغ عدد أبيات علم المعاني المشروحة في منظومة زينة الفتيان أربعة وثمانين بيتا بدأها الشّيخ بقوله:

عِلْمُ المعَـــانِي مُبْصِـــرُ المعُـــانِي مَسَالِكَ الإِعْجَـازِ فِي القُـــرْآنِ
عِلْمٌ بِهِ يُبْحَثُ عَنْ حَـــالِ كَـــلَامْ العُرْبِ مِنْ طِبَاقِ مُقْتَضَى المَقَامْ

أشار المؤلّف في البيت إلى أهمّ فائدة يمكن أن يستفيد منها الدّارس لعلم المعاني ويتعلّق الأمر بمعرفة إعجاز القرآن الكريم، ثمّ انتقل في البيت الثّاني إلى التّعريف

الاصطلاحي لعلم المعاني وهو:" أصول وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال"[18].

بعد ذلك شرع الشّيخ في تناول أبواب العلم المحصورة في ثمانية أبواب، وفي ذلك قال:

يُحْصَرُ فِي الإِسْنَادِ مُسْنَدٍ إِلَيْـــهْ مُسْنَـدٍ العَالِــقِ فِعْلاً أَوْ شَبِيهْ
الإِنْشَاءِ وَالْوَصْلِ يَلِيهِ الْفَصْلُ ثُمْ الإِيجَازُ الإِطْنَابُ الْمُسَاوَاةُ الْمُتَمْ

تلك الأبواب الثمانية تناولها الشّيخ بشيء من التفصيل بابا بابا، بدء من أحوال المسند والمسند إليه ومتعلّقات الفعل–وهي مواضيع لها علاقة وثيقة بعلم النّحو– وانتهاء بمواضيع اختلف فيها البلاغيّون، فأدرجها بعضهم في علم البديع، ومنها: الالتفات، والتّغليب، وذكر العام بعد الخاصّ.

–الشّواهد:

الشّاهد: هو جزئية يؤتى بها لإثبات قاعدة معيّنة، وتكون تلك الجزئية من القرآن الكريم، أو الحديث النّبوي الشّريف، أو كلام العرب من شعر ونثر، ويختلف أمر الشّواهد بين النّحو والبلاغة، ففي النّحو وقع خلاف ضئيل في الاستشهاد بالحديث النّبوي الشّريف[19]، وفي كلام العرب من شعر وغيره تمّ تحديد إطار زماني وآخر مكاني، يقول السّيوطي في مسألة تحديد المكان:" وبالجملة فإنّه لم يؤخذ عن حضري قطّ، ولا عن سكّان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم التي تُجاور سائر الأمم الذين حولهم"[20]. غير أنّ تلك الشّروط لا يخضع لها الشّاهد البلاغي، ولذا فإنّ بعض البلاغيين استشهدوا بأشعار من إنشاءهم[21].

وفي علم المعاني من زينة الفتيان أكثر المؤلّف من الاستشهاد بالآيات القرآنية فكانت نحو مائة وست وعشرين آية موزّعة على أبواب العلم مع تكرار بعض الآيات في بعض المواضع، وحلّ الشّعر في المرتبة الثّانية فكان نصيبه نحو ثلاثة وخمسين

شاهدا، و الحديث النّبوي في المرتبة الثّالثة بأحد عشر حديثا.أمّا الشواهد النّثرية من كلام العرب فقد ورد منها مثال واحد، قول الْقَبَعْثَرَى للحجّاج: "لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا"، حين توعّده الحجّاج بقوله: " لأحملنّك على الأدهم.."[22] ، ورد الشّاهد في باب المُسند عند الحديث عن خلاف مقتضى الظّاهر، والذي منه حمل كلام المخاطب على خلاف قصده تنبيها على أنّه الأوْلى، وهو ما عبّر عنه الشّاهد.

2.5علم البيان:

إليه انتقل المؤلّف بعد علم المعاني، وكان الجُزء المخصّص له أقلّ بكثير ممّا خُصّص لعلم المعاني والبديع، وعدد أبياته المشروحة خمسة وثلاثين بيتا، بدأها المؤلّف كعادته فيما سبق ببيت أشار فيه إلى تعريف العلم وفائدته فقال:

عِلْمُ البَيَانِ مَا يُبِينُ المَعْنَى بِطُرُقٍ تَسْنُو وَبَعْضٌ أَسْنَى

في البيت إشارة إلى تعريف العلم اصطلاحا وهو:" أصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى"[23]، ثمّ إنّ من بين فوائد هذا العلم "الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت من فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم"[24].

كما حصر المؤلّف أبواب البيان في ثلاثة: التّشبيه، والكناية، والمجاز، قال في ذلك:

مَجَازٌ اِلَّا فَكِنَايَةٌ وَذَاكْ قَدْ لِاسْتِعَارَةٍ بِتَشْبِيهٍ يُحَاكْ

وبدأ بالتّشبيه –رغم أنّه أخّره في البيت– وهو المعهود عند البلاغيين– وللتّشبيه فإنّ الاستعارة المذكورة في البيت هي ضمن باب التّشبيه[25]– وختم حديثه بالكناية.

–الشّواهد:

كان حظّ العلم من الشّواهد ضئيلا جدّا، فعدد الآيات القرآنية المُستشهد بها اثنتا عشرة آية، وعدد الأحاديث النّبوية ثلاثة، وتسعة وعشرون شاهدا شعريا، وبذلك تكون الشّواهد الشّعرية أكثر.

3.5 علم البديع:

كان نصيبه من الأبيات المشروحة اثنين وخمسين بيتا، وفي البيت الأوّل أشار إلى حدّ العلم فقال:

عِلْمُ البَدِيعِ مَا يُحَسِّنُ الكَلَامْ بَعْدَ الوُضُوحِ وَرِعَايَةِ المَقَامْ

و البيت كما هو ملاحظ ألمّ بجوانب التّعريف الاصطلاحي لعلم البديع وهو" علم يُعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال"[26]، أمّا عن الأنواع فأشار المؤلّف أنها تتعدّى المائتين بعضها مرّ ذكره في أبواب العِلمين السّابقين، لكنّ الأنواع تلك كلّها لا تخرج عن بابين، المحسّنات المعنوية، والمحسّنات اللفظية، قال في ذلك:

الَانْوَاعُ فَوْقَ المِائَتَيْنِ البَعْضُ مَرّ بِسَابِقِيهِ مَعْنًى اَوْ لَفْظًا يُقَرّ

-الشّواهد:

كان علم البديع أوفر حظّا من حيث الاستشهاد، نظرا لكثرة الأنواع المنضوية تحت بابيه، فكان عدد الآيات المُستشهد بها سبعا وتسعين آية، وعدد الأحاديث النبوية خمسة وخمسون حديثا، أمّا الشّواهد الشّعرية فكانت ثلاث مائة وسبعة وثلاثين شاهدا، وهي أعلى نسبة استشهاد في ما مرّ، وينبغي الإشارة إلى أنّ المؤلّف استشهد بأبيات من إنشاءه في باب التّضمين الذي عرّفه أثناء الشّرح بقوله:" هو أخذ المتكلّم شيئا من شعر غيره بدون تنبيه على أنّه من شعر الغير؛ بشرط أن يكون مشهورا عند البلغاء، وإن لم يكن مشهورا عندهم فلا بدّ من تنبيه أنّه ليس له؛ لئلّا يُتّهم بالسّرقة"

وعلى هذا التّعريف ساق شواهد شعريّة من قوله منطلقا من جزء التّعريف الأخير قائلا:

آبَاؤُهُ مَا قَالَ قَبْلُ مَنْ جَلَبْ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ عَبْدِ المُطَّلِبْ

البيت أورده المؤلّف في قسم السّيرة من منظومة زينة الفتيان، واستشهد به في هذا الموضع، وقد أوضح في الشّطر الأوّل أنّ الشّطر الثّاني للبيت قد أخذه من قول قيل قبله.

ثمّ ساق شواهد أخرى من إنشاءه تمثّلت في تضمينه لثلاث قصائد من الشّعر الجاهلي، صرف معناها إلى أهمّ ممّا كانت عليه إلى المديح النّبوي، من ذلك قوله:

بِالعَيْنِ مِنْ طِيبِ المُجِدِّ غَرَامُهَا عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا

وَخَفَتْ مَنَازِلَهَا لَدَيْكَ مَنَازِلٌ بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

ومنها قوله: أَرْضٌ بِهَا المُخْتَارُ كَلَّمَ جَهْرَةً صُمًّا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا

القصيدة التي ضمّنها في قصيدته هي معلّقة لبيد بن ربيعة العامري ومطلعها:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا[27]

كما أنّ المؤلّف أورد عديد الشّواهد النّثرية من ذلك الاستشهاد بمقاطع من مقامات الحريري.

6. المصادر:

من مصادر المؤلّف "إتمام الدّراية لقرّاء النّقاية" للسّيوطي وهو شرح على النُّقاية، و "شرح عقود الجُمان" للسّيوطي أيضا" والمصدر الأخير اعتمد عليه ابن بادي اعتمادا كبيرا؛ على أنّه صرّح بذلك في المقدّمة قائلا:" أريد أن أضع تعليقا مقتصرا مفيدا على ألفيتي؛ التي نظمت فيها نُقاية العلوم للسّيوطي، مع ما زدته من الفنون على ما أورد فيها، وفيما أورد منها بعبارته، وربّما أنقل من غيره.."، ولذا أكثر المؤلّف في شرحه من عبارة "قال مؤلّف الأصل" قاصدا بذلك السّيوطي، ومن المصادر خزانة

الأدب وغاية الأرب لابن حجّة الحموي، والتّبيان في البيان للطّيبي، ومفتاح العلوم للسّكّاكي، وكتب الحديث النّبوي الشّريف كالصّحيحين وكتب السّنن وغيرها، ومقامات الحريري، وغيرها من المصادر.

7. منهج المؤلّف:

كان المؤلّف يورد البيت أو البيتين أو الثّلاثة، وأحيانا يورد شطر بيت أو نصفه ويتتبّع ما أورد بالشّرح كلمة كلمة، باسطا مع ذلك قواعد العلم المُتناول (المعاني أو البيان أو البديع)، ومؤيّدا ما أورده من القواعد بالشّواهد المختلفة من القرآن الكريم، أو الحديث النّبوي الشّريف، أو كلام العرب من شعر أو نثر، وكان أحيانا يستطرد في بعض المسائل، ويوجز في أخرى، وممّا يدلّ على الاستطراد كثرة التّنبيهات التي كان يسوقها في زيادة التّوضيح، أيضا الإحالة إلى بعض الفنون التي أوردها في منظومته، كالإحالة إلى علم التّفسير في علم المعاني في باب الوصل والفصل، أو الإحالة إلى فنّ التّنجيم، وفنّ السّيرة من المنظومة في علم البديع في باب التّضمين وغير ذلك، وكان غالبا لا يُعلّق على الشّواهد، ولا يبيّن محلّ الشّاهد إلّا نادرا.

8. خاتمة:

ممّا سبق نخلص إلى أنّ زينة الفتيان مؤلَّف موسوعي– للشّيخ محمد بن بادي الكنتي– اشتمل على سبعة عشر علما، من بين العلوم التي تناولها بالنّظم علوم البلاغة الثّلاثة: المعاني والبيان والبديع، وهو نظم على نُقاية العلوم للسّيوطي المشتمل على أربعة عشر علما، وعلوم البلاغة في زينة الفتيان بعد نظمها قام المؤلّف بشرحها معتمدا على ما ألّفه السّيوطي كشرح النُّقاية "إتمام الدّراية"، و"شرح عقود الجُمان"، مع بعض المصادر البلاغية الهامّة، وساق في شرحه عديد الشّواهد من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، وكلام العرب من شعر ونثر، ومن الشّعر استشهد بأبيات من قوله في باب التّضمين في علم البديع، لكن تظلّ نسخة المؤلّف

المُبيّضة في حكم المفقود، ومن خلال تتبّعنا لعلوم البلاغة المنظومة في زينة الفتيان تبيّن لنا:

-أنّ الشّيخ ابن بادي يملك أدوات النّظم متمكّن من ذلك، لا يجد صعوبة في إيصال المعنى المقصود إلى المتلقّي، وهو أيضا عالم لغوي بامتياز، تناول في مؤلَّفه كل ما يتعلّق بعلوم البلاغة الثلاث نظما وشرحا.

-من المصادر اللغوية التي اعتمدها الدّرس البلاغي في منطقة الهقار وما جاورها: نُقاية العلوم وشرحها إتمام الدّراية للسّيوطي، وشرح عقود الجُمان وهو له أيضا.

-زينة الفتيان النّظم المشروح لصاحبه ابن بادي يظلّ مؤلّفا نادرا خاصّة في هذه المناطق من جنوب الوطن وربّما في غيرها، فنحن لم نقف على كتاب يجمع سبعة عشر علما بين دفّتيه، وتشمل النّدرة أيضا التأليف في علوم البلاغة نظما وشرحا.

لكن هذا المؤلَّف الموسوعي لم ينل قيمته الحقيقية أكاديميا، وطبعته الحالية لا تفي بالغرض وعليه:

-ينبغي أن يتصدّى ثلّة من الباحثين الأكاديميين لتحقيق المخطوط كلّ على حسب اختصاصه، وليكن ذلك من طلبة الماجيستير و الدكتوراه.

-ضرورة الالتفات لمؤلّفات الشّيخ الأخرى قصد تحقيقها وإخراجها إلى طلبة العلم ومحاولة التعريف به أكثر وبجهوده العلمية المختلفة.

9.المراجع:

[1]- مقطع من رسالة بعث بها الشيخ محمد بن محمد الفق إلى ابن الشيخ، وقد طلب منه أن يكتب له تعريفا بشيخه ابن بادي، بيدي نسخة منها.وينظر حاج أحمد الصدّيق، من أعلام التراث الكنتي المخطوط محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص63، وص64 .

[2]- محمد بن بادي،حوار السّوقيين مع ابن بادي في الحج في الطائرة، مخطوط بيد ابن المؤلف، واعتمدت على نسخة مكتوبة كتبها الشيخ محمود صديقي مع الشيخ محمد أداس

ختّالي، وورد في كتاب النّفحات البهيّة في أفنان الشّجرة الكنتية، لعقباوي عزيزي أن ذلك الحوار المشتمل على القصائد الواردة الذكر في الصفحة هي قيد التحقيق من طرف باحمد عمر دمّة، ينظر الكتاب، طبعة دار الهدى، الجزائر 2016 م.

[3]–الشيخ بن محمد بن بادي، المفيد المستفيد في تراجم العلماء وسلسلة المشايخ الفضلاء في التصوّف والطّريقة القادرية، مؤسّسة البلاغ، الجزائر، طبعة خاصة 2013، ص206.

[4] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[5] –المرجع نفسه، ص207.

[6] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[7] –ينظر المرجع نفسه، والصّفحة نفسها.

[8] – ينظر محمد عبد الحميد فيلي، تنوير ذوي البصائر بما كان في الهقّار صائر، مطبعة سخري، الجزائر، الطبعة الثانية، 2013، ج02، ص176.

[9] –للاطّلاع على الإجازة ينظر الشّيخ بن محمد بن بادي، المرجع السّابق، ص225.

[10] –ينظر حاج أحمد الصدّيق، محمد بن بادي حياته وآثاره، ص57.

[11] –كالشّيخ عيسى قمامة، والشّيخ محمد بن بانه، وغيرهما.

[12] –ينظر محمد عبد الحميد فيلي، تنوير ذوي البصائر، ج02، ص191.

[13] –للتأكّد من ذلك عدت إلى رسالة الباحث الصدّيق حاج أحمد للدكتوراه والموسومة بالدّراسات اللغوية بتوات من القرن 12 ه إلى القرن 14 ه، وقد تتبّع فيها المؤلّفات اللّغوية من ذلك أربع وخمسون منظومة لغويّة لم يرد منها في علم البلاغة شيء عدا ما ألّفه الشّيخ ابن بادي في نظم زينة الفتيان، وذكر عشرة من التقاييد اللغوية خلت من علم البلاغة، وتسعة من الحواشي والمختصرات، وردت منها حاشية للشيخ محمد العالم الجزولي البكراوي على منظومة محمد المراكشي بعنوان " الأكمه في البلاغة" من ستّ ورقات، وذكر سبعا وعشرين شرحا لغويّا لم يرد منها شيء في البلاغة.

[14] –الكتاب حقّقه الباحث أبو أزهر بلخير غانم، ونشرته دار الكتب العلمية.

[15]– جلال الدين السّيوطي، النقاية في أربعة عشر علما، دراسة وتحقيق: فايزة عبّاس كاظم الإدريسي، مجلة قطر النّدى، العدد التاسع،السنة الثالثة، ذو القعدة 1432 ه، ص339 .

[16]– محمد بن محمد الفق، بنت السودان بنت زينة الفتيان، في النحو والصرف والضرورات الشعرية، مخطوط يوجد في خزائن تمنراست وأقبلي إحداها بمكتبة السيخ أحمد سلامة بتهقارت، وأخرى بمكتبة خي علي بسرسوف، ينظر الطيب ديهكال، تاريخ الهقار والتديكلت، منشورات نسيب، الجزائر 2016 ،ص 400 وص401 .

[17] –أحمد سيد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، لبنان، الطّبعة الأولى، 1431هـ–2010م، ص05.

[18]– ينظر سيد أحمد الهاشمي، المصدر نفسه، ص34.

[19] –ينظر السّيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، ضبط وتعليق: عبد الحكيم عطيّة، دار البيروتي، دمشق، الطبعة الثانية، 1427هـ–2006م، ص43.

[20] – ينظر السّيوطي، المصدر نفسه، ص47.

[21] –هذا الأمر نجده لدى أغلب البلاغيين، كابن أبي الأصبع في تحرير التّحبير، أو ابن حجّة الحموي في خزانة الأدب، أو السّيوطي في شرحه لعقود الجُمان.

[22] – الحادثة أوردها ابن عساكر في تاريخ دمشق، وذكر أخبارا لابن القَبَعْثَرَى مع الحجّاج. ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدّين العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ–1997م، ج 48،ص 67.

[23] –ينظر سيد أحمد الهاشمي، المرجع السّابق، ص178.

[24] –ينظر، سيد أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص179.

[25] – الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه.

[26] –ينظر أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص262.

[27] – لبيد بن ربيعة، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962م، ص297.